الهوية الإسلامية بين السنن الإلهية والمقاومة المعاصرة: قراءة في طوفان الأقصى و أبعاده الحضارية والسياسية

The Islamic Identity Between Divine Laws and Contemporary Resistance: A Study of the 'Al-Aqsa Flood' and Its Civilizational and Political Dimensions

رابح زاوي [1]*

[1] جامعة آكلي محند أولحاج البويرة، (الجزائر)

r.zaoui@univ-bouira.dz

تاريخ الارسال: 2026/03/05 تاريخ القبول: 2026/05/31 تاريخ النشر: 2026/06/10

ملخص: *يتناول المقال موضوع الهوية الإسلامية بين القوانين الإلهية وخيارات المقاومة المعاصرة من خلال نموذج طوفان الأقصى بوصفه حدثًا مفصليًا في تاريخ الصراع الفلسطيني-الصهيوني. ويركز على البعد الحضاري للهويّة من حيث الارتباط بالوحي، والبعد السياسي من حيث مقاومة الاستعمار والاستيطان، مع إبراز دور المقاومة في إعادة تعريف موازين القوة وكسر صورة التفوق الصهيوني والغربي. ينتهي المقال إلى أنّ الإشكالية الأساسية هي كيفية صون الهوية الإسلامية تحت هيمنة عالمية معادية، وأن المقاومة الواعية هي الإطار العملي الأنسب لحماية هذه الهوية واستعادة الفاعلية الحضارية في مواجهة مشاريع الهيمنة الصهيونية.*

الكلمات المفتاحية: *الهوية الإسلامية؛ السنن الإلهية؛ المقاومة؛ طوفان الأقصى؛ فلسطين.*

تصنيف جال: *F51 ، D74،Z12*

***Abstract**: The article addresses Islamic identity between divine laws and contemporary resistance options through the model of the Al-Aqsa Flood, viewed as a pivotal event in the history of the Palestinian-Zionist conflict. It focuses on the civilizational dimension of identity, in terms of its connection to revelation, and the political dimension, in terms of resisting colonialism and settlement, while highlighting the role of resistance in redefining power balances and breaking the image of Zionist and Western superiority. The article concludes that the core issue is how to preserve Islamic identity under a hostile global hegemony, and that conscious resistance is the most appropriate practical framework for protecting this identity and restoring civilizational agency in the face of Zionist hegemonic projects.*

***key words:** Islamic Identity; Divine Laws; Resistance; Al-Aqsa Flood; Palestine.*

***JEL classification:** F51; D74; Z12.*

* زاوي رابح.

مقدّمة:

يتناول المقال موضوع الهوية الإسلامية بين السنن الإلهية والمقاومة المعاصرة، من خلال قراءة تحليلية لمعركة "طوفان الأقصى" وأبعادها الحضارية والسياسية بوصفها نموذجًا كاشفًا لإعادة تشكّل الوعي والهوية في واقع الأمة. تبرز أهمية الموضوع في كونه يجمع بين بعدين متكاملين: البعد السنني الذي يفسر حركة التاريخ وفق سنن التدافع والمداولة والتغيير، والبعد المقاوم الذي يعبر عن الفعل التاريخي للأمة في مواجهة مشاريع الإلغاء والاستئصال. إن "طوفان الأقصى" لا يظهر فقط كحدث عسكري، بل كمنعطف مفهومي قطع مع ثقافة الهزيمة وأعاد الاعتبار لمركزية المقاومة في بناء الذات الحضارية الإسلامية، وأثار في الوقت نفسه أسئلة عميقة حول طبيعة الهوية، وحدود القوة، ومعايير النصر والهزيمة في ضوء المرجعية الإيمانية.

وتعود دوافع اختيار هذا الموضوع إلى جملة من الاعتبارات العلمية والفكرية والواقعية. أولًا، يشهد الحقل المعرفي المتعلق بالدراسات الإسلامية والسياسية تركّزًا ملحوظًا على المقاربات العسكرية والاستراتيجية في تحليل أحداث فلسطين والمقاومة، مقابل نقص نسبي في الدراسات التي تعالج هذه الوقائع من زاوية السنن الإلهية وبناء الهوية الحضارية. ثانيًا، أظهر طوفان الأقصى حضورًا لافتًا للخطاب الديني والمرجعيات القرآنية في صياغة الوعي المقاوم، ما يستدعي بحثًا علميًا يتجاوز الانطباعات الإعلامية إلى تحليل عميق للبنية القيمية والفكرية لهذا الخطاب. ثالثًا، يعكس الموضوع اهتمامًا شخصيًا/علميًا بإشكالية تجديد الوعي الحضاري الإسلامي وإعادة وصل الأمة بسُنن نصرها ونهضتها، في سياق عالمي يتسم بتسارع التحولات واشتداد حملات التشويه والتطبيع. رابعًا، تفرض الراهنية السياسية والأخلاقية للقضية الفلسطينية نفسها كمبرر قوي لاختيار موضوع يسهم في ترشيد الوعي، بعيدًا عن التوظيف الشعاراتي أو الخطاب العاطفي غير المؤصّل.

تتمحور الإشكالية الرئيسية للمقال حول التساؤل الآتي: **إلى أي مدى ساهمت عملية "طوفان الأقصى"، في ضوء السنن الإلهية الحاكمة للتاريخ، في إحداث قطيعة استراتيجية ونفسية مع حالة الانكسار العربي، وكيف أعادت تعريف الهوية الإسلامية المقاومة وفرضت تداعيات سياسية وحضارية على المستويين الإقليمي والدولي؟**

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدة أسئلة: كيف تتجلى سنة "التدافع" في الصراع الحالي؟ وما هي الآثار النفسية والاقتصادية للحدث على الكيان الصهيوني؟ وكيف أثر الحدث على التوازنات الجيوسياسية العالمية؟

كما ينطلق المقال من اختبار الفرضيات العلمية التالية:

الفرضية الأولى: إن استيعاب وتفعيل "السنن الإلهية" (خاصة سنة التدافع) من قبل حركات المقاومة يوفر لها حصانة معنوية وقدرة على الصمود والإبداع الاستراتيجي، مما يعوض الخلل في موازين القوى العسكرية والمادية مع العدو. (المبرر: تفسير الصمود الأسطوري لغزة وتطور الأداء العسكري مقارنة بالحروب السابقة).

الفرضية الثانية: أحدثت عملية طوفان الأقصى "صدمة مضادة" وقطيعة نفسية عميقة في الوعي الجمعي الإسرائيلي، أسقطت عقيدة الردع والتفوق الاستخباراتي (القبة الحديدية، الإنذار المبكر). (المبرر: الخسائر البشرية غير المسبوقة والتخبط في القرارات العسكرية والسياسية الإسرائيلية).

الفرضية الثالثة: تجاوزت ارتدادات المعركة الرقعة الجغرافية لفلسطين لتخلق حالة من "عولمة المقاومة" التي فضحت المعايير المزدوجة للنظام الدولي وأعادت تشكيل الرأي العام العالمي لصالح السردية التحررية. (المبرر: الاحتجاجات العالمية الضخمة، والتحولات في مواقف الدول تجاه القضية الفلسطينية).

يعتمد هذا البحث منهجين متكاملين؛ أولهما المنهج التحليلي-المفاهيمي الذي يضبط المفاهيم الرئيسة مثل "الهوية الإسلامية"، و"السنن الإلهية"، و"المقاومة المعاصرة"، و"الطوفان" بوصفه ظاهرة حضارية وسياسية، بما يسمح ببناء إطار نظري دقيق وواضح للمناقشة، وثانيهما المنهج الوصفي-التفسيري الذي يتناول السياق التاريخي والسياسي لطوفان الأقصى بالوصف والتحليل، ثم يفسّر هذا السياق في ضوء الإطار السنني والحضاري، عبر ربط المعطيات الجزئية بالنسق الكلي لحركة الأمة وتحولاتها في ضوء هذا الحدث المفصلي.

يتخذ المقال بنية متدرجة تضمن تماسك الأفكار وتسلسلها؛ إذ تستهل الدراسة بالمقدمة التي تعرض الإشكالية والأهداف والأهمية والمنهج المعتمد، لتهيئة الإطار النظري والتحليلي للعمل، ثم يأتي المحور الأول لبيان السنن الإلهية كإطار حاكم لفهم التاريخ والصراع من خلال إبراز سنة التدافع وسنة المداولة وإسقاطهما على الواقع الفلسطيني الراهن، يليه المحور الثاني الذي يتناول طوفان الأقصى بوصفه لحظة لإعادة تعريف الهوية الإسلامية المقاومة وعولمة فعل المقاومة، مع ربط شرعيتها بحفظ المقاصد الشرعية الخمسة: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ثم المحور الثالث الذي يحلل الآثار الاستراتيجية والسياسية والسيكولوجية للعملية، من التحول التكتيكي من الدفاع إلى الهجوم إلى تفكيك أسطورة الردع الإسرائيلية وحرب الخطابات والصورة الإنسانية للمقاومة، يتبعه المحور الرابع الذي يرصد التحولات الدولية وانعكاساتها الجيوسياسية على موازين القوى، ومسارات التطبيع، والسياسات الغربية في المنطقة، لتختتم الدراسة بالخاتمة التي تجمع أهم النتائج.

1. السنن الإلهية كإطار لفهم التاريخ والصراع

تُتيح السنن الإلهية فهماً عميقاً وشاملاً لمسار التاريخ البشري، إذ من خلالها نستطيع إدراك حقيقة الأحداث، والتعرف على العوامل التي تقود إلى النهوض والبناء، أو إلى الهدم والانهيار. فالسنن الإلهية ترسم لنا معالم الطريق لفهم أسباب النصر والهزيمة، والنجاح والفشل، وتفسر لنا لماذا حلت بنا الهزائم والمحن، وما أصابنا من ركود وتخلف، في الوقت الذي تقدم فيه الآخرون وحققوا النجاح في شتى مجالات الحياة. وقد أكد القرآن الكريم على أهمية تدبر السنن الإلهية في التاريخ، فقال تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]، وفي موضع آخر ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62]. كما نبّه النبي محمد ﷺ إلى أهمية فهم هذه السنن، فقال "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا

ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" (رواه أبو داود). وفي حديث آخر "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك" (رواه الترمذي).

من خلال هذه النصوص، يتضح أن السنن الإلهية ليست مجرد قوانين جامدة، بل هي دلائل إرشادية لفهم أسباب التقدم والتراجع في حياة الأمم، وتحثنا على مراجعة أنفسنا وأفعالنا، وتدفعنا للسعي نحو الإصلاح والبناء على أسس من الإيمان والعمل الصالح. كما أن فهم السن الإلهية ومعرفة التاريخ من خلالها يمكن أن يبعث الوعي، ويشحذ الهمم للخروج من حالة التخلف الحضاري، والعمل على التخلص من أسباب الضعف، ويجنب الأمة مصارع السابقين (رشيد، 2015، صفحة 100).

تُعدُّ "سنة التدافع" من السنن الإلهية الكبرى التي تحكم حركة التاريخ والمجتمعات، وتبرز بوضوح في الأحداث الكبرى كعملية طوفان الأقصى، حيث يتجلى الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، كقانون مستمر لا يتوقف حتى قيام الساعة. فالتدافع ليس مجرد مواجهة عسكرية أو صراع مادي، بل هو منظومة شاملة تشمل المقاومة الفكرية والثقافية والاجتماعية، وتستهدف حفظ الصلاح والاستقرار ومنع الفساد في الأرض.

وقد نصَّ القرآن الكريم على هذه السنة في قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]، وفي موضع آخر: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: 40].

هذه الآيات تؤكد أن التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل ضرورة لاستمرار الحياة وحفظ القيم والمقدسات، وأنه لولا هذا التدافع لعمَّ الفساد وانهارت القيم، بل حتى أماكن العبادة كانت ستتعرض للهدم والاندثار. فالتدافع إذن، كما يصفه العلماء، هو ضمانة لاستقامة الحياة واعتدال ميزانها، وشرطٌ لتحقيق التمكين لأهل الخير والصلاح.

وفي السنة النبوية، يظهر هذا المعنى في قول النبي ﷺ:"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" (متفق عليه). وفي غزوات النبي ﷺ، وخاصة غزوة أحد والأحزاب، تتجلى سنة التدافع بوضوح، حيث كان المؤمنون يُبتلون ويواجهون قوى الباطل، فينتصرون حيناً ويُصابون حيناً آخر، لكنهم يظلون ثابتين في مواجهة الظلم والعدوان، مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140].

وفي سياق طوفان الأقصى، تتجلى سنة التدافع في صمود المقاومة الفلسطينية أمام آلة البطش والعدوان، وفي تفاعل الأمة الإسلامية والعربية مع هذه القضية، حيث تتجدد معاني الجهاد والثبات والتضحية، وتبرز أهمية مدافعة الباطل وعدم الاستسلام للظلم. فهذه السنة الإلهية تذكّر الأمة بأن الصراع بين الحق والباطل مستمر، وأن النصر والتمكين مشروطان بالثبات والعمل الصالح، كما قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: 55]

ولولا شرعة القتال والجهاد، والإذن للمظلومين في مواجهة الظالمين ومدافعتهم بالقوة لاستشرى الفساد في الأرض، وانتهكت الحرمات، وهدمت المقدسات من صوامع ومساجد وغيرها من دور العبادة، قال ابن كثير: " أي: لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشف شر أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف (قطب، 1992، صفحة 2425). "

تدور معركة طوفان الأقصى على أرض غزة في إطار سنة التدافع الإلهية بين قوى الخير والشر، والصلاح والفساد، والحق والباطل. فقد ارتكب العدو الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني شتى أنواع الجرائم والانتهاكات، قبل الطوفان وبعده، ولم يدع محرماً إلا انتهكه، حتى غدا بؤرة للفساد وسرطاناً خطيراً زُرع في قلب الأمة، يدنس مقدساتها، ويعتدي على حرماتها، ويهدد حاضرها ومستقبلها. وفي مواجهة هذا العدوان، يقف أبناء فلسطين والمقاومة في غزة في خط الدفاع الأول، يذودون عن مقدسات المسلمين، ويسعون لتحرير الأرض وتطهير المسجد الأقصى من رجس الصهاينة الذين يخططون لهدمه وإقامة هيكلهم المزعوم على أنقاضه.

ومن السنن الإلهية العظيمة التي تحكم الاجتماع البشري وتوجه مسار التاريخ سنة "المداولة"، وهي قاعدة جوهرية تتجلى في تعاقب الدول والحضارات، وتبدل الأحوال بين القوة والضعف، والنصر والهزيمة، والشدة والرخاء. فالمداولة تعني تداول الأيام والأحداث بين الأمم والشعوب، بحيث لا يدوم حال على حال، ولا تستقر القوة أو الرفعة في يد قوم دون غيرهم إلى الأبد. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السنة بقوله تعالى ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 140]. والمداولة في اللغة مأخوذة من "داول فلان فلاناً الشيء" إذا جعله عنده دولة ثم نقله إلى الآخر، أي أن الملك أو النصر أو الشدة ليست حكراً على طرف واحد، بل تتداولها الأمم والأجيال (الطاهر، 1984، صفحة 100). ويشير المفسرون إلى أن هذه السنة الإلهية تربي في النفوس معاني الصبر والثبات، وتمنح المجتمعات قوة الأمل والتجدد، وتمنع الاستبداد أو اليأس من السيطرة على النفوس.

وفي سياق معركة طوفان الأقصى، تتجلى سنة المداولة بوضوح، حيث يعيش الفلسطينيون اليوم جولة من جولات الصراع مع العدو الصهيوني، يتعرضون فيها للشدائد والابتلاءات، لكنهم يدركون أن الأيام دول، وأن النصر قد يتأخر لكنه قادم لا محالة لمن استجمع شروطه. فالمداولة تذكّر الأمة أن الهزيمة ليست نهاية المطاف، وأن النصر لا يتحقق إلا بالصبر والثبات والعمل الصالح، كما قال تعالى ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]. وتبرز أهمية هذه السنة في أنها تزرع في الأمة روح المقاومة وعدم الاستسلام، وتدفعها للاستعداد الدائم، وتحثها على مراجعة أسباب النصر والهزيمة، وتعلمها أن دوام الحال من المحال، وأن التداول سنة كونية لتحقيق العدل والابتلاء وتمييز الصفوف، كما قال تعالى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾. وهكذا، فإن سنة المداولة تضع الأمة أمام مسؤوليتها التاريخية.

المعركة مع الاحتلال الصهيوني لفلسطين لا تزال مفتوحة، والصراع محتدم، وطريق التحرير طويل يتطلب الكثير من التضحيات والصبر. ومع ذلك، فإن العاقبة الحميدة والنصر الموعود هما وعد الله لعباده

الصابرين، كما جاء في قول موسى عليه السلام لقومه ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]. وكذلك في خطاب الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

إن سنة المداولة الإلهية ستجري حتماً على اليهود الغاصبين، فالقوة لا تدوم في يد أحد، والضعف ليس قدراً أبدياً على أمة من الأمم. وقد أخبر الله تعالى عن نهاية إفساد بني إسرائيل في الأرض، وتدميرهم حين يعاودون الفساد والعلو، فقال سبحانه ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: 4-5]،

وقال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، وقال أيضاً ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104].

يُعد قول الله تعالى ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8] استشرافاً ربانيًّا دقيقاً لمسار الصراع العربي الصهيوني، إذ يُبرز علم الله المحيط وسننه الجارية في تاريخ بني إسرائيل. فهذه الآية الكريمة ترسّخ قاعدة اجتماعية وسنة إلهية خاصة باليهود، مفادها أن كلما عادوا إلى الإفساد والعلو في الأرض، عاد عليهم عقاب الله بالهلاك والتشتيت، كما فصّلت الآيات في سورة الإسراء. وقد تحقق ذلك مراراً في التاريخ، وسيتكرر مستقبلاً كلما تكررت أسباب الفساد والطغيان. وتحمل الآية معنى إعجازياً عميقاً، إذ تكشف أن نزعة العودة إلى "أرض الأجداد" تلازم اليهود في الشتات، فهم دائماً يحنّون إلى العودة ويخططون لها، ويجعلونها هدفاً وجودياً لهم.

وقد صدق الله تعالى حين قال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 36].وقد نزلت هذه الآية في سياق استعداد قريش لمعركة بدر وما تلاها من معارك، حيث روى محمد بن إسحاق عن الزهري وغيره أن قريشاً بعدما أصيبت في بدر، اجتمع من فقدوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم، وطلبوا من أبي سفيان ومن كان له نصيب في تجارة العير أن يعينوهم بأموالهم لمواصلة القتال ضد النبي محمد ﷺ وأصحابه، أملاً في الثأر لمن فقدوا. فاستجابوا لذلك، وأنفق أبو سفيان في تجهيز جيش أحد أربعين أوقية من الذهب، واستأجر ألفين من الأحابيش ليقاتلوا معه ضد المسلمين (الطبري، 2001، صفحة 170).

إن لفظ الآية جاء عاماً ليصف سلوك الكافرين في كل زمان، ويؤكد أن الإنفاق في سبيل محاربة الحق وأهله سنة متجددة في الصراع بين الحق والباطل (كثير، 1999، صفحة 74). وصيغة المضارع في قوله تعالى "ينفقون" تدل على استمرارهم ودأبهم في بذل الأموال بسخاء في مواجهة المسلمين، إلا أن عاقبة ذلك ستكون عليهم حسرة وخسراناً، وسينتهي الأمر بغلبتهم واندحارهم، مهما طال أمد الصراع أو كثرت تضحياتهم.

2. طوفان الأقصى وإعادة تعريف الهوية الإسلامية المقاومة

وفي هذا السياق، تتحدث الاحصائيات عن بلوغ حجم الإنفاق العسكري الإسرائيلي في حرب غزة منذ اندلاعها في أكتوبر 2023 وحتى نهاية 2024 مستويات غير مسبوقة في تاريخ إسرائيل. وفقاً لتقديرات وزارة المالية الإسرائيلية وتقارير علمية واقتصادية موثوقة بلغت الكلفة الإجمالية للحرب على غزة (مع بعض العمليات في لبنان) حوالي 250 مليار شيكل (نحو 67.5 مليار دولار أمريكي) حتى نهاية 2024، بحسب تقديرات بنك إسرائيل وتقارير اقتصادية إسرائيلية رسمية (Shihadeh, 2025). كما أن الإنفاق العسكري المباشر في عام 2024 وحده وصل إلى 112 مليار شيكل (حوالي 31 مليار دولار)، وفق بيان وزارة المالية الإسرائيلية، مع الإشارة إلى أن إجمالي الإنفاق الدفاعي السنوي (بما في ذلك الموازنات الإضافية) بلغ 168.5 مليار شيكل (نحو 46.5 مليار دولار)، ما يعادل 8.4% من الناتج المحلي الإجمالي لإسرائيل (AFP, 2025). في حين تشير تقديرات أخرى إلى أن التكلفة الكلية المباشرة وغير المباشرة للحرب قد تتجاوز 300 مليار شيكل (أكثر من 80 مليار دولار) إذا استمرت العمليات أو توسعت إلى جبهات أخرى.(Grant, 2025)

لقد أعاد طوفان الأقصى تعريف الهوية الإسلامية كـ"هوية مقاومة" مرتبطة بالتحرير والعدالة، وليس مجرد هوية دينية طقوسية، فهناك جانب آخر مهم يتيح لنا الحديث عن الثقافة الدينية المرتبطة بطوفان الأقصى، وهو ما لاحظه العديد من المفكرين من أن العملية مثلت نقطة انطلاق لـ"عولمة المقاومة" في مواجهة حالة الجمود الثقافي التي تعاني منها العولمة الغربية. فقد دخلت الثقافة الغربية منذ زمن في مرحلة ضعف الهوية، وأصبحت، كما يصفها هنتنغتون، أكثر هشاشة من أي وقت مضى، خاصة وأنها تستند إلى تراث مسيحي-يهودي لم يعد قادراً على توحيد المجتمعات الغربية أو إعطائها زخمًا حضاريًا جديدًا.

في ظل هذا الواقع، فإن تصاعد قوى المقاومة المناهضة للهيمنة الغربية يزيد من التحديات التي تواجهها الحكومات الغربية، ويعمق أزماتها الداخلية والأيديولوجية. إن عولمة المقاومة تمثل محفزًا لثورة عالمية ناعمة، وهذه ليست مجرد شعارات أو دعاية إعلامية، بل يمكن إثباتها من خلال الدراسات العلمية الحديثة. لقد أظهرت التحولات الأخيرة أن دول العالم، بعد الكارثة الإنسانية في غزة، أصبحت أكثر ميلاً إلى الموضوعية والتحرك النشط على الساحة الدولية في هذا الملف (اسماعيلي، 2025). إن هذا التحول يعكس خروج العديد من الدول عن أنماط سيادتها التقليدية في التعامل مع القضية الفلسطينية، حيث وجهت انتقادات صريحة للكيان الصهيوني بسبب الكوارث الإنسانية، وابتعدت عن الخطاب الرسمي للدول التي دعمت إسرائيل، مما أتاح إعادة تقييم من يقف على الجانب الصحيح من التاريخ. ويرتبط هذا التحول بقوة المبادرة والانفتاح الفكري الذي أظهرته حركة المقاومة العالمية، وقدرتها على تقديم خطابها وتفسيره ضمن منظومات فكرية متنوعة. كما أن المقاومة، بفضل مرونتها وتنوع أساليبها، استطاعت أن تجمع حولها قوميات وثقافات مختلفة على أساس القيم الإنسانية المشتركة، وهي خاصية أصيلة في الإسلام كدين عالمي يحمل رسالة العدل والكرامة والتحرر.

إن قبول فكرة المقاومة يعكس نشوء ديناميكية جديدة بين الهوية والدين والمجتمع، وهي ديناميكية نادرة في التاريخ الحديث. ويمكن القول إن نقطة انطلاق هذه الديناميكية في عالمنا المعاصر كانت الثورة

الإسلامية في إيران، التي وصفها الفيلسوف ميشيل فوكو بأنها "عودة الروح إلى عالم فقد روحه". لقد تمكنت الثورة الإيرانية من إحداث تأثير عالمي واسع، ويعود ذلك بالأساس إلى اعتماد الإمام الخميني، رحمه الله، على "القوة القرآنية" للإسلام الأصيل، ما منحها طاقة روحية وفكرية متجددة.

لقد أكد طوفان الأقصى صحة نظرية طارق البشري حول "الوعاء الجغرافي"، التي عرضها في مقالته القيمة "عن القدس وفلسطين (وعاؤها الجغرافي)" (البشيري، 1999، صفحة 24). فقد بيّن البشري أن فلسطين تشكل الوعاء الحاضن للقدس، وأن الأخيرة ليست مجرد مدينة ضمن فلسطين، بل هي جوهر هويتها وروحها، وهي التي تمنح فلسطين معظم قيمتها وخصوصيتها. فالقدس ليست مدينة في وطن اسمه فلسطين، بل يمكن القول إن فلسطين كلها وطن يتجسد في مدينة اسمها القدس.

وقد تجلى هذا المعنى بوضوح في الإنجازات التي حققها طوفان الأقصى على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، سواء في اليوم السابع من أكتوبر أو فيما تلاه من صمود تاريخي أصبح نموذجاً يُحتذى. لقد أظهر الطوفان ما تمتلكه فلسطين من قيادة واعية ومقاومة صلبة وشعب مؤمن بهويته ووطنه، مستعد لبذل الغالي والنفيس في سبيل حماية أرضه والدفاع عن مقدساته. لقد رفع طوفان الأقصى القضية الفلسطينية إلى مستوى غير مسبوق على الساحة الدولية، إذ أعاد تسليط الضوء على حقوق الشعب الفلسطيني، وفي مقدمتها حقه في إقامة دولته المستقلة على أرضه (الفتاح، 2025). وقد تحقق ذلك في وقت عجزت فيه الجهود الدبلوماسية والسياسية التقليدية، التي افتقرت إلى عناصر القوة والتأثير، عن تحقيق أي تقدم ملموس في هذا الاتجاه.

كما وجه طوفان الأقصى ضربة قوية لمكانة الكيان الصهيوني كقوة إقليمية مهيمنة وشرطي للمنطقة، وأسقط عنه هالة الردع التي طالما تفاخر بها. كما أدى إلى تراجع التأييد الدولي لإسرائيل، وبدأت صورتها تتآكل في الرأي العام العالمي، خاصة مع تصاعد الإدانات للجرائم المرتكبة بحق المدنيين في غزة. إضافة إلى ذلك، فضح طوفان الأقصى جريمة التطبيع ومحاولات بعض الأنظمة العربية والإسلامية استرضاء إسرائيل، وكشف للرأي العام حقيقة ظاهرة "التصهين" وحدد طبيعتها، مما أتاح فرصة واسعة لإدانتها ورفع الوعي بخطورتها على القضية الفلسطينية والمنطقة بأسرها.

ذكرت "الدرر السنية" في شرح الحديث أن من مظاهر رحمة الله بالأمة الإسلامية أنه يهيئ لها في كل عصر علماء أو حكامًا يحيون الدين وينشرونه بين الناس كما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم. وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث» يُفَسَّر بأنه يرسل ويهيئ لهذه الأمة، وقيل: للعالم كله، على رأس كل مائة سنة، أي في نهاية كل قرن أو بدايته، من يجدد لها أمر دينها، خاصة عندما يضعف التمسك بالدين وتُهمل السنن ويزداد الجهل وتنتشر البدع. والمقصود بـ«من يجدد لها دينها» هو من يُعيد إحياء ما نُسي أو هُجر من تعاليم الدين، وكلمة «من» هنا عامة تشمل الفرد والجماعة، ولا تقتصر فقط على العلماء والفقهاء، بل قد يكون المجددون من أولي الأمر أو الصالحين الذين يحفظون الدين وينشرون العدل. وبذلك، يمكن فهم عبارة «من يجدد لها أمر دينها» على أنها تشمل كل من يدافع عن الإسلام ويقيم العدل ويواجه الظلم والاستبداد، ومن ذلك الجهاد المشروع الذي فرضه الله على المؤمنين،

والذي به يعود الناس إلى الطريق المستقيم وتعلو مكانة الإسلام ويُحفظ الدين من الاعتداء. وقد أعادت معركة طوفان الأقصى للجهاد مكانته الرفيعة في نفوس المسلمين بعد أن غُيِّب عن التربية والمناهج بفعل خطط ممنهجة لإبعاده عن الوعي والوجدان.

لقد بدأت شرارة هذا الوعي تتوهج وتتجسد في معركة "سيف القدس" في ماي 2021، حيث استعادت القدس مكانتها المركزية في الوعي الفلسطيني من خلال ثلاثية الصمود: باب العمود، حي الشيخ جراح، وساحات المسجد الأقصى (سلامة، 2024، صفحة 300). فأعادت هذه المواقع قدسيتها، وأعادت للفعل الفلسطيني معناه الوطني وهويته الأصيلة. ومع تصاعد الأحداث، اتسعت دائرة المواجهة تحت عنوان "هبة الكرامة" لتشمل كل أرجاء فلسطين التاريخية، وتوجت بدخول المقاومة الفلسطينية من قطاع غزة بقوة "سيف القدس" دفاعًا عن القدس وأهلها. وفي خضم هذه المعركة، شعر الفلسطينيون بانبعاث جديد بعد سنوات من الخوف والانكسار، حيث أصبح الوعي الجماهيري محركًا للفعل السياسي والإعلامي والمقاوم. كما أن المسيرات الجماهيرية التي انطلقت من لبنان والأردن وسوريا باتجاه الحدود أضفت على الحدث بعدًا عربيًا، وأظهرت تكاملًا في الأدوات يعكس التنوع الثقافي والسياسي في المنطقة. بدا وكأن سيناريو التحرير بات حاضرًا في الأذهان وممكناً على أرض الواقع.

ورغم خذلان المستوى السياسي الرسمي، إلا أن بذرة جديدة بدأت تنمو في مدن جنين ونابلس وأريحا وطولكرم ورام الله والقدس وبيت لحم والخليل، متجاوزة محاولات الإجهاض، حتى جاء السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، ليعلن عن انطلاق معركة "طوفان الأقصى" التي مثلت استكمالاً لمسار المقاومة والجهاد، وأكدت أن هذا الطريق لا يزال حيًا في ضمير الأمة، وأن جذوة المقاومة يجب أن تبقى مشتعلة حتى تحقيق الحرية والكرامة. فـ"طوفان الأقصى" لم يكن مجرد محطة عابرة، بل هو امتداد طبيعي لمسيرة النضال الفلسطيني، ودعوة متجددة لاستمرار المقاومة والجهاد حتى تحرير الأرض والمقدسات.

إن ثقافة الخوف والهزيمة والاستسلام هي ظاهرة عابرة وغير قادرة على فتح خيارات ومسارات وآفاق جديدة في التاريخ، نظراً إلى افتقادها الخيال وابتلائها بالانسداد السياسي، بينما ثقافة المقاومة تشحذ المخيلة الوطنية بإمكان الصمود والنصر والتحرير. وهذا الوعي بالممكن التاريخي الذي تصنعه المقاومة في فلسطين وتحققه في قطاع غزة، لم نكن نحلم به، لكنه تجسد كحقيقة لإرادة المقاومة الصلبة التي جعلت من المستحيل واقعة اجتماعية وحقيقة سياسية. وهنا، تشكلت صورة جديدة للفلسطيني وإمكاناته بمقاومته التي "هي العرض التاريخي، الحدث الذي يفجر طاقات الشعوب، وتصحح مسار التاريخ، والضرورة التي تستثير خيارات الشعوب فتختار بدائل أُخرى غير التي فرضتها الإرادات الخارجية وقوى التسلط الداخلي والقهر الخارجي. (حنفي، 2006، صفحة 104) "

إن الصراع بين الصهيوني والفلسطيني هو في جوهره مواجهة بين مجتمع استعلائي عدواني بنى لنفسه صورة التفوق والهيمنة، وبين مجتمع فلسطيني مقاوم يناضل من أجل حريته واستعادة إنسانيته بعيدًا عن مقاييس القوة التي يفرضها العقل الصهيوني والغربي الإمبريالي. إنه صراع بين عقليتين، وإنسانين، وصورتين متناقضتين، ومنظومتين أخلاقيتين مختلفتين. ففي ثقافة المقاومة الفلسطينية، يُعاد تشكيل

الإنسان الفلسطيني ليصبح قادرًا على التخطيط والمبادرة والمناورة والتفاوض، كما يوظف التكنولوجيا والإعلام لصناعة صورة إنسانية وفاعلة، تجسدها شخصية "الملثم" أبو عبيدة، الناطق باسم "كتائب عز الدين القسام"، الذي أصبح نموذجًا ثقافيًا للمقاومة، ورمزًا للصدق في إعلان الإنجازات الميدانية وتحديد الخيارات السياسية ورسم حدودها بوضوح. (ضهير، 2024، صفحة 147)

ويستعيد الفلسطيني توازنه النفسي، كما أشار المفكر فرانز فانون، من خلال العنف الثوري الذي يعيد له اتزانه الذهني والمعرفي والعاطفي، ويشكل في الوقت نفسه "صدمة مضادة" للاستعمار الصهيوني الذي فقد توازنه وصورته في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، أمام القدرات القتالية الفلسطينية في الميدان (Sulaiman, Abdul Muntaqim, & Nur , 2024, p. 201). فمنذ ذلك اليوم، يواصل المقاومون توجيه ضربات موجعة للعدو، خاصة في غزة، وفي مخيمات الضفة الغربية، وعلى الحدود الشمالية مع لبنان. وقد كشفت المقاومة عن نقاط ضعف جوهرية في البنية العسكرية والثقافية للعدو، مما أتاح تحقيق إنجازات وانتصارات ملموسة، وحوّل مشاعر الإحباط واليأس إلى طاقة مقاومة متجددة، مسلحة بالأمل في نيل الكرامة والحرية والتحرير.

مثلت عملية "طوفان الأقصى" نقطة تحول تاريخية، ليس فقط على المستوى الفلسطيني والعربي، بل على الساحة الدولية أيضًا. فقد شكلت هذه العملية مرحلة فاصلة في تجاوز مشاعر العجز والضعف واليأس أمام الاستعمار الصهيوني الإحلالي وتحالفاته مع قوى الإمبريالية العالمية (Banikalef & Nisreen N. , 2025, p. 23). وفي هذا الإطار، جاءت إنجازات المقاومة وصمودها في قطاع غزة والضفة الغربية لتجذب اهتمام الشباب الفلسطيني والعالمي نحو القضايا الكبرى، حيث أصبحت القضية الفلسطينية تمثل البوصلة الأخلاقية والثقافية في العالم. كما حملت هذه الأحداث بشائر ولادة مجتمع مقاوم جديد، فلسطينيًا وعربيًا وعالميًا، يسعى لتحرير الإنسان وصون كرامته.

3. إحياء قيمة المقاومة كخيار استراتيجي

يُعد مفهوم المقاومة من أبرز المفاهيم الديناميكية في الثقافة العربية والإسلامية، إذ يستند إلى رؤية حضارية تهدف إلى حماية الأرض وتحقيق المقاصد العليا. ومع ذلك، فقد تعرض هذا المفهوم في السنوات الأخيرة لتشويه متعمد من قبل القوى الاستعمارية الكبرى، التي اعتبرته تهديدًا لأمنها ومصالحها. وسعت هذه القوى إلى تقويضه من خلال ربطه بمفاهيم معاكسة، وعلى رأسها الإرهاب، مما منحها مبررات وشرعية دولية لقمع حركات المقاومة بمختلف الوسائل، سواء عبر الحملات الإعلامية أو الضغوط الشعبية والسياسية والعسكرية. وقد أدى ذلك إلى إلحاق الضرر بالعديد من حركات المقاومة حول العالم، خاصة المقاومة الفلسطينية، الأمر الذي دفع الكثير من الباحثين إلى إعادة دراسة هذا المفهوم وتوضيح حدوده والفروق بينه وبين المفاهيم الغربية الأخرى.

صحيح أنه لم يرد مفهوم المقاومة بشكل صريح في النصوص الإسلامية الأساسية، أي القرآن الكريم والسنة النبوية، غير أن معظم الأدبيات تسعى إلى ربطه بمفهوم "الجهاد" باعتباره امتدادًا له، حيث يُدرج ضمن الأعمال الجهادية التي تهدف إلى التصدي للعدوان والدفاع عن أمن الأوطان والشعوب (منجود،

1996، صفحة 579). وبذلك تُعتبر المقاومة "واجبًا جهاديًا مشروعًا"، ويمكن تناولها بمعناها الواسع الذي لا يقتصر فقط على الحرب أو استخدام القوة المسلحة، بل يشمل أيضًا مقاومة جميع أشكال الهيمنة والاستعمار على اختلاف مستوياتها. فالمقاومة، بوجه عام، تُعرّف بأنها الوقوف في وجه الاحتلال والسعي للتخلص منه، سواء كان ذلك احتلالًا سياسيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا أو معرفيًا، وسواء اتخذت المقاومة شكلًا ماديًا أو معنويًا، أو كانت سلمية أو مسلحة. وقد اتسع المفهوم ليشمل كافة الأفعال والممارسات التي يقوم بها الأفراد، حتى تلك التي تبدو بسيطة أو يومية، مثل قرار مقاطعة سلعة معينة كنوع من المقاومة السلمية.

تدور المقاومة في إطار الرؤية المقاصدية الكلية، التي تختلف في جوهرها عن ذلك المنهج الوظيفي المصلحي في توجيه الفعل السياسي من منظور مادي بحت، وهي لا تهمل في اعتباراتها جوانب المصلحة (الليثي، 2023، صفحة 218)، وإنما تتناولها في إطارٍ أشمل يتعلق بالأساس المقاصدي للضرورات الخمس: (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال)، أي تحقيق المصلحة بشقيها: الديني والدنيوي، وقد مثل الاحتلال منذ لحظاته الأولى المهدد الأول لتلك المقاصد، التي تتعرض للانتهاك والفقد على نحو تجاوز كل الحدود، وهو ما تم التأكيد عليه مرارًا :(زيد، 2022، صفحة 110)

1 .حفظ الدين: انتهكت قوات الاحتلال حرمة الأماكن المقدسة، واقتحمت باحات المسجد الأقصى، وسمحت لجماعات يهودية بأداء طقوس تلمودية داخله، بل أعلنت عن خطط لهدمه لبناء ما يُسمى "الهيكل الثالث"، حتى أنها جلبت بقراتٍ حمراء لحرقها كرمز لبدء تشييده.

2 .حفظ النفس: يتعرض الشعب الفلسطيني يوميًا لانتهاكاتٍ ممنهجة تشمل الاعتقالات التعسفية، والتعذيب، والاغتيالات الميدانية بحق المدنيين، بما في ذلك النساء والأطفال، فضلًا عن المجازر الجماعية كما في صبرا وشاتيلا ومخيم جنين.

3 .حفظ العقل: سعى الاحتلال إلى تشويه الوعي عبر تزييف الحقائق التاريخية، ووصف مقاومة الشعب الفلسطيني بـ"الإرهاب"، بينما يُصوَّر عدوانه على أنه "دفاع عن النفس"، في محاولة لتبرير سياساته القمعية وتضليل الرأي العام العالمي.

4 .حفظ النسل: أدت سياسات القتل والاعتقال إلى تفكيك البنية الاجتماعية، وارتفاع معدلات الأرامل والأيتام، مما هدد استقرار الأسر الفلسطينية وقدرتها على الحفاظ على النسل.

5 .حفظ المال: نهب الاحتلال الموارد الطبيعية، ودمَّر البنى التحتية، وصادر الأراضي لبناء المستوطنات، كما هدم المدارس والمستشفيات والمساجد، في محاولة لمحو الهوية الحضارية للشعب الفلسطيني.

جاء سلوك المقاومة في سياق تصعيدي يتناسب مع قيم الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بأوقات الحرب من جانب، ومع طبيعة الحدث ذاته، ومع اعتبارات فرق القوة من جانب آخر، وهو ما حاولت المقاومة التأكيد عليه في خطابات قادتها عبر تطورات الأحداث، وبيان كيف أن العدو لم يأبه بجميع سبل التحذير والتصعيد السابقين، مما دفعهم إلى انتهاج سبيل القوة والعنف، لا على مستوى فردي فقط

يختص به المجاهدون من المقاومة، وإنما هو انتقام شعبي شامل وثأرهم لأرواح ضحاياهم وكرامتهم (عمر، 2025). الأمر الذي أكد عليه القائد العام "محمد الضيف" بقوله: "لقد أدركنا أن العدو لا يفهم إلا لغة القوة"، ثم توجه إلى الجماهير يستحثهم النهوض:

"هبّوا لنصرة أقصاكم، واطردوا قوات الاحتلال والمستوطنين من قدسكم، واهدموا الجدران العازلة، أشعلوا الأرض لهيبًا تحت أقدام المحتلين الغاصبين، قتلاً وحرقًا وتدميرًا وإغلاقًا للطرقات، و أفهموا هذا المحتل الجبان أن طوفان الأقصى أكبر مما يظن ويعتقد. كل من عنده بندقية فليُخرجها، فهذا أوانها، ومن ليس عنده بندقية، فليخرج بساطوره، أو بلطته، أو فأسه، أو زجاجته الحارقة، بشاحنته، أو جرافته، أو سيارته. اليوم، اليوم، يفتح التاريخ أنصع و أبهى وأشرف صفحاته، فمن يسجل اسمه واسم عائلته واسم بلدته في صحائف النور والمجد؟ (الضيف، 2023)."

يطرح حسن حنفي في مقال حمل عنوان "ثقافة المقاومة" والذي تم نشره في مجلة المستقبل العربي العدد 324 شباط/فبراير 2006 سؤالا جوهريا: هل غاب مفهوم ثقافة المقاومة في ثقافتنا الموروثة، وإذا حضر ففي أي جانب منها؟ وهل يمكن إعادة بناء الثقافة الوطنية بحيث ترتكز على المقاومة بدلا من الاستسلام للقاهر الداخلي أو العدو الخارجي؟. (حنفي، "ثقافة المقاومة"، 2006) وكإجابة على هذا السؤال يرى حسن حنفي أنه وفي هذه اللحظة التاريخية، يعيش العرب حالة من العجز والشعور بالمهانة، إذ يُضحى بشعب عربي كامل، نسائه وأطفاله وشيوخه وشبابه، أمام أنظار الجميع. وما تبقى من فلسطين، أي 22% من أرضها، يكاد يضيع كما ضاعت 78% منها في عام 1948، مما يعني أن فلسطين كلها مهددة بالضياع في قلب العالم الإسلامي، وفي عاصمته القدس، وفي الحرم الشريف، تمامًا كما ضاعت الأندلس قبل قرون بسقوط غرناطة، آخر مدنها. كان الغزو في الأندلس يأتي من الشمال، من الغرب المسيحي ضد المسلمين واليهود في الجنوب، أما اليوم فالغزو في فلسطين يأتي من الغرب المسيحي اليهودي ضد المسلمين. وقد عاش اليهود سابقًا في الأندلس تحت حماية المسلمين، أما اليوم فيعيشون في حماية الغرب في فلسطين، بينما يظل المسلمون خاسرين في كلتا الحالتين، في الماضي والحاضر.

ومع ذلك، لا يمكن اعتبار ما يحدث في فلسطين مجرد حرب دينية؛ فالصهيونية تمثل إحدى الأيديولوجيات الاستعمارية التي ورثها القرن التاسع عشر، والتي تجمع بين الاستيطان والعنصرية والرومانسية والدعوة للعودة إلى الأصول. وتبقى فلسطين آخر معاقل الاستعمار الغربي الحديث، بينما تُعد المقاومة الفلسطينية حركة تحرر وطني، وانتفاضة الاستقلال هي المرحلة الأخيرة من الثورة الفلسطينية ضد الاستعمار الاستيطاني، بعد أن تحررت جنوب أفريقيا، وقبل أن تبدأ معارك التحرر في سبتة ومليلية في المغرب، وكشمير في العالم الإسلامي.

لقد تجلّت مركزية القدس والمسجد الأقصى في مختلف الثورات والانتفاضات الفلسطينية، حيث أظهرا قدرة كبيرة على تحفيز الشعب الفلسطيني وحشده، كما أصبحا رمزًا للوحدة الإسلامية الشاملة، وجامعين للصفوف في مواجهة العدو. وقد برز الدور المحوري للمساجد كمراكز للإعداد الإيماني والتربوي، وتعزيز الصمود، فضلاً عن كونها منطلقًا للمظاهرات ومواجهة الاحتلال. ولهذا السبب، أطلق على انتفاضة

1993-1987 اسم "انتفاضة المساجد"، بينما سُميت أقوى انتفاضة معاصرة بين عامي 2000 و2005 بـ"انتفاضة الأقصى". ويمكن كذلك استحضار محطات بارزة مثل معركة الدفاع عن النفق أسفل المسجد الأقصى عام 1996، وانتفاضة القدس بين 2015 و2017، وهبتي باب الأسباط وباب الرحمة في 2019، ومعركة سيف القدس عام 2021 وغيرها.

4. الآثار الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية لطوفان الأقصى

أثبتت التجربة أن المقاومة، خاصة الإسلامية منها، تمتلك قدرة فائقة على تعبئة الجماهير العربية والإسلامية، وتعطيل مسارات التسوية السلمية، وعرقلة مشاريع التطبيع، وكشف حقيقة الأنظمة التي تسعى للتقارب مع العدو. كما أن الدفاع عن القدس والمقدسات وفلسطين أصبح معيارًا تقيس به الشعوب مواقف أنظمتها وقادتها؛ فمن وقف مع فلسطين ارتفعت مكانته في أعين الناس، ومن خذلها فقد مكانته وانفض عنه المؤيدون. إنه لمن المهم الإشارة إلى أن من أسباب نجاح حماس وحفاظها على قوتها وتماسكها طوال الفترة الماضية. وجود نواة رسالية صلبة، ووجود بناء شورى مؤسسي، وانتخابات دورية منتظمة، والقدرة على النقد الذاتي الداخلي، وعدم تقديس الأشخاص، والقدرة على التوريث القيادي وأسهم في قوتها أيضا التصاقها بالجماهير وهموم الناس، وكذلك الدينامية العالية التي تمتعت بها قيادة الحركة، وقدرتها على التكيف والتعامل مع البيئات الصعبة (صالح، 2023، صفحة 267). وهي مزايا يجب المحافظة عليها في ضوء التوسع الكبير للحركة وامتداداتها في الضفة والقطاع والخارج، واضطرارها للعمل تحت النار والحصار وفي ظروف المطاردة والإبعاد، وفي ضوء صعوبات المواءمة بين العمل المسلح وبين العلاقات السياسية وبين توفير سبل الدعم والتمويل.

لا مبالغة في القول إن عملية طوفان الأقصى كان لها تأثير مماثل على العالم العربي فيما يتعلق بالسياسة الإقليمية والدولية. فقد شكّل التسلل البري والبحري والجوي لعناصر المقاومة إلى الأراضي التي تحتلها إسرائيل، والتي كانت محاصرة في منطقة محدودة لسنوات، علامة فارقة في مسار النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني. وفي هذا السياق، مثلت العملية التي أطلقتها كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، صباح السابع من أكتوبر، نقطة تحول نوعية في المقاومة الفلسطينية وبداية عصر جديد. كما أن الانقطاع الأخير في تاريخ الشرق الأوسط الحديث الذي أحدثته عملية طوفان الأقصى، يوضح بجلاء أن هذه العملية ستغير التوازنات السياسية في المنطقة. وفي هذا الإطار، تسعى الدراسة الحالية إلى تأطير العملية وتحليل أبعاد هذا الانقطاع، إضافة إلى استشراف التأثيرات المحتملة للعملية على السياسة الإقليمية والدولية.

كانت عملية طوفان الأقصى نقطة تحول بارزة في النضال الفلسطيني، إذ مثلت التغيير الأكثر جوهرية في فلسفة المقاومة منذ الانتفاضة الأولى عام 1987. فالفلسطينيون الذين اعتقدوا لعقود أنهم سيتمكنون من إنهاء الاحتلال وإقامة دولة مستقلة بدعم من العالم العربي، أدركوا بحلول منتصف السبعينيات أن العرب لن يتخذوا الخطوات اللازمة في هذا الصدد. عندها أدركت قيادة المقاومة الفلسطينية أن التقدم يعتمد على إرادتهم ومبادرتهم الذاتية، فأطلقوا انتفاضة جماهيرية ضد إسرائيل

بقوة شعبهم. وبهذا أحدثت الانتفاضة الأولى تحولًا كبيرًا في مسار المقاومة الفلسطينية، حيث أصبح النضال المحلي ضد النظام الصهيوني المحتل، رغم محدودية الإمكانيات، قادرًا على تحقيق مكاسب نحو الاستقلال. كما سمحت هذه الاستراتيجية الجديدة للمقاومة الفلسطينية بأن تؤسس نفسها وتبني هوية قوية. علاوة على ذلك، فإن تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في بداية الانتفاضة الأولى كان إشارة واضحة إلى أن تحولًا منهجيًا وأيديولوجيًا سيطرأ على المقاومة الفلسطينية. وفي السنوات التالية، أدى تصور حماس للنظام السياسي، والأساليب التي استخدمتها، والخطاب الذي أنتجته، وموقفها الواضح ضد الاحتلال الإسرائيلي، إلى أن تجد الحركة صدى واسعًا في فلسطين وتصبح أحد أقوى الفاعلين في الحياة السياسية الفلسطينية. (Mercan, 2018, p. 65)

لقد مكّنت استراتيجية حماس الحازمة على مر السنين وخبرة كتائب عز الدين القسام القتالية من إطلاق عملية ضد إسرائيل من قطاع غزة. وقد شكّلت العملية التي بدأت صباح السابع من أكتوبر تحولًا نوعيًا جديدًا بعد الانتفاضة الأولى، حيث انتقلت عناصر المقاومة في غزة بقيادة القسام من نموذج المقاومة الدفاعية ضد الهجمات الإسرائيلية إلى استراتيجية هجومية تعتمد على التسلل متعدد المحاور. كما كان لافتًا إنشاء "مركز عمليات مشترك" يضم 12 مجموعة مقاومة مختلفة للقتال ضد قوات الاحتلال بشكل منسق، مما ساهم في توحيد الفصائل الفلسطينية ضد العدو المشترك. وقد أضاف هذان التطوران بعدًا جديدًا للمقاومة الفلسطينية، وأديا أيضًا إلى انقطاع نفسي ومعرفي في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

مع الساعات الأولى من عملية طوفان الأقصى، بدأت الصدمة تتسلل إلى الجانب الإسرائيلي، وظهرت أولى علامات التأثير النفسي. فعلى مدى سنوات طويلة، نجحت الدولة الإسرائيلية في ترسيخ أسطورة حول كفاءة وفعالية أجهزتها الاستخباراتية، وبنت قناعة راسخة بأن أي تحرك يشكل تهديدًا لإسرائيل داخل فلسطين أو خارجها سيتم اكتشافه مسبقًا واتخاذ الإجراءات اللازمة لإحباطه. لكن انهيار هذه القناعة، مع نجاح العملية المفاجئة التي نفذتها كتائب عز الدين القسام بالتنسيق مع فصائل المقاومة الأخرى دون أن ترصدها الاستخبارات الإسرائيلية، شكّل الضربة النفسية الأولى منذ السابع من أكتوبر.

وقد كشفت التصريحات الرسمية والتحليلات على منصات مختلفة أن حماس نجحت في تضليل الاستخبارات الإسرائيلية، حيث أوهمتهم بأن أي عملية محتملة ستكون في وقت لاحق، ما ساهم في عنصر المفاجأة. واتضح لاحقًا أن حماس اعتمدت استراتيجيات متعددة لخداع الجانب الإسرائيلي، مستفيدة من التطور الكبير الذي حققته في مجال الاستخبارات الإلكترونية خلال السنوات الأخيرة، وقدرتها على الوصول إلى العديد من الوثائق السرية الإسرائيلية. كل ذلك يعكس حجم الضغط النفسي والاستخباراتي الذي تمارسه حماس وقواتها على دولة الاحتلال، ويبرز التحول النوعي في إمكانيات المقاومة الفلسطينية. بالإضافة إلى انهيار أسطورة الاستخبارات القوية عقب العملية، انهارت أيضًا أسطورة أخرى تتعلق بمنظومة القبة الحديدية للدفاع الجوي. فقد كانت القبة الحديدية تُعد من أكثر أنظمة الدفاع الجوي فعالية في العالم، إلا أنها أخفقت في حماية إسرائيل بالكامل من آلاف الصواريخ التي أطلقتها كتائب عز الدين القسام (Harding, 2023). وهذا يعني أن مناطق بعيدة عن غزة أصبحت الآن عرضة لتهديد المقاومة. لقد تسبب

فشل هذا النظام، الذي اعتمدت عليه إسرائيل بشكل كبير، في إلحاق ضرر غير مسبوق بأجهزة الدولة والمجتمع الإسرائيلي على حد سواء.

لأول مرة، تكبدت إسرائيل خسائر بشرية كبيرة على يد المقاومة الفلسطينية، ما أدى إلى صدمة نفسية عميقة انعكست في مستوى غير مسبوق من العدوانية لدى صانعي القرار الإسرائيليين، مدفوعين بالخوف الشديد من الهزيمة. هذا الانهيار النفسي لم يقتصر على الجانب الإسرائيلي فقط، بل شكل في الوقت ذاته مكسبًا نفسيًا للمقاومة الفلسطينية.

لقد مثّل التغيير الاستراتيجي الذي نفذته حماس وباقي فصائل المقاومة في 7 أكتوبر، حيث انتقلوا من الدفاع أو المقاومة شبه النشطة إلى عملية هجومية منسقة (عملية طوفان الأقصى)، نقطة تحول نفسية فارقة. فقد أظهرت هذه العملية قدرة المقاومة الفلسطينية على تنفيذ هجوم مخطط متعدد المحاور، مما كسر صورة التفوق الإسرائيلي وأعاد تشكيل ميزان القوى النفسي في الصراع. علاوة على ذلك، فإن تحييد عدد كبير من ضباط الجيش وأسر المئات من الجنود خلال الساعات الأولى من العملية، يُظهر بوضوح كيف نجحت عملية طوفان الأقصى في تفكيك المنظومة الأمنية الإسرائيلية وزعزعة ثقة المجتمع الإسرائيلي بمؤسساته الدفاعية.

تُعد عملية طوفان الأقصى قطيعة كاملة في تاريخ المقاومة الفلسطينية، إذ مثلت التحول الأهم في طبيعتها منذ الانتفاضة الأولى. فقد أثبتت أن المقاومة قادرة على اتخاذ زمام المبادرة وتحقيق إنجازات نوعية رغم محدودية الإمكانيات، كما أعادت تعريف الذات الفلسطينية كفاعل مستقل قادر على تحدي العلاقة غير المتكافئة التي فرضتها إسرائيل لسنوات.

لقد أدت الهيمنة الإسرائيلية في الساحة الدولية إلى نشوء علاقة غير متكافئة في جميع مراحل الصراع. فعلى الرغم من أن اتفاقيات أوسلو بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني صُوِّرت لدى كثيرين كخطوة أساسية نحو السلام، إلا أنها في الواقع عمّقت من عدم التوازن بين الطرفين. ففي تلك المفاوضات، كان الجانب الإسرائيلي في موقع الفاعل والمبادر، بينما كان الطرف الفلسطيني في موقع المتلقي، مما أدى إلى تجاهل حق الفلسطينيين في السيادة الكاملة. ففي خلال هذا المسار، تم التغاضي عن قضايا فلسطينية مركزية مثل اعتبار القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين وحق عودة اللاجئين، حيث اكتفت إسرائيل بطرح فكرة كيان فلسطيني غامض ذي حكم ذاتي محدود بدلاً من دولة مستقلة ذات سيادة (Achcar, 2004, p. 273). وفي السنوات التالية، استمرت إسرائيل في فرض سيطرتها على الأراضي المحتلة كما تشاء، وتصاعدت هجماتها المدمرة على غزة، حتى أصبح اليأس والإحباط جزءًا من الواقع الفلسطيني اليومي.

من هنا، تمثل عملية طوفان الأقصى نقطة انطلاق لقطيعة نفسية جديدة، ستترك إرثًا طويل الأمد في مسيرة المقاومة، إذ أظهرت أن الشعب الذي عاش سنوات طويلة تحت الحصار قادر على تنفيذ عملية مقاومة متعددة الأبعاد والجهات، وأن ميزان القوى يمكن أن يتغير بفضل إرادة المقاومة وابتكارها.

استعادت حركة حماس والمقاومة الفلسطينية عمومًا زمام المبادرة على مستوى الخطاب، حيث أصبح الخطاب الموجه ضد المقاومة أكثر حدة بالتوازي مع تصاعد الهجمات على غزة. فقد حاول وزير

الدفاع الإسرائيلي، يوآف غالانت، شيطنة المقاومة في غزة، حين صرّح قائلاً: "نحن نقاتل ضد حيوانات بشرية." (AlJazeera, 2023) ويمكن تفسير هذا التصريح بأنه محاولة لاستمالة دعم "العرق الغربي المتفوق" عبر استحضار لغة استعمارية تقليدية تجد إسرائيل صعوبة في إنتاج خطاب متماسك ضمنها.

ويعيد هذا الخطاب إلى الأذهان ما كتبه روديارد كبلينغ، أحد أعلام الأدب الإنجليزي، حين نظم قصيدة للجيش الأمريكي أثناء غزوه الفلبين عام 1899، حيث تحدث عن "الرسالة المقدسة للرجل الأبيض" واصفًا المجتمعات غير الغربية بأنها "نصف شيطان ونصف طفل". إن التشابه بين وصف كبلينغ ووصف غالانت للفئة المهمشة، رغم الفارق الزمني الذي يتجاوز 130 عامًا، يكشف أن القادة الصهاينة الإسرائيليين قد فقدوا تمامًا إحساسهم بالإنسانية بعد أن خسروا تفوقهم في السابع من أكتوبر.

يمكن وصف الاستراتيجية الدولية الناجحة التي اتبعتها إسرائيل في سياستها الاحتلالية حتى الآن بأنها "إفقاد الإحساس" أو "التخدير التدريجي". فمن خلال توسعها العدواني، وخطواتها المتطرفة، وهجماتها العنيفة، ارتكبت إسرائيل جميع أنواع الانتهاكات للقانون الدولي والقانون الإنساني. وقد نجحت أساسًا في جعل العالم يتبلد تجاه مجازرها، حتى أصبحت هذه الانتهاكات أمرًا معتادًا في نظر المجتمع الدولي، مما منح إسرائيل هامشًا كبيرًا للمناورة.

وفي الوقت نفسه، فقدت إسرائيل تفوقها على مستوى الخطاب، وواجهت موجات احتجاج غير مسبوقة حول العالم. فإلى جانب الأضرار العسكرية والسياسية والاقتصادية التي لحقت بها بعد السابع من أكتوبر، أصبح الدعم الجماهيري الواسع لغزة في مواجهة ممارسات النظام الصهيوني اللاإنسانية يشكل كابوسًا لإسرائيل. وتشير الاحتجاجات الضخمة، والتطورات الدبلوماسية، وتصاعد موجة معاداة الصهيونية في الساحة الدولية، إلى أن ما يجري في غزة سيترتب عليه تكاليف أكبر من أي وقت مضى بالنسبة لإسرائيل.

وفي خضم هذا المسار، تواصل مقاومة غزة تكبيد قوات الاحتلال خسائر فادحة بفضل بنيتها المنسقة وإصرارها. وفي المقابل، يقدم جميع سكان غزة دروسًا عظيمة للعالم من خلال صمودهم، وصبرهم، وإيمانهم المطلق بالنصر. كما أن الصور التي ظهرت خلال عمليات تبادل الأسرى، والرسائل التي بعث بها الأسرى الإسرائيليون، فتحت مجالًا واسعًا للشرعية أمام حماس والمقاومة في غزة، في الوقت الذي أسقطت فيه الحجج الدعائية الإسرائيلية. كل هذه المؤشرات تؤكد مجددًا أن عملية طوفان الأقصى كانت نقطة تحول مفصلية في مسار النضال الفلسطيني ضد الاحتلال. علاوة على ذلك، فإن السابع من أكتوبر يمثل المصدر الأساسي للدافع الذي فتح الباب أمام عصر جديد في المقاومة الفلسطينية، ولحظة تاريخية فارقة ستنعكس آثارها على السياسات الإقليمية والدولية. (Mercan, Operation al-Aqsa Flood: A Rupture in the History of the Palestinian Resistance and Its Implications, 2023)

لقد انطلقت عملية طوفان الأقصى من قبل حركة حماس نتيجة تراكم أسباب عديدة، أبرزها استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، والحصار الخانق على قطاع غزة، والاعتداءات المتكررة على المسجد الأقصى، بالإضافة إلى تصاعد الاستيطان والتمييز العنصري، ورفض إسرائيل القاطع لحل

الدولتين. كما لعب الدعم الأميركي والأوروبي غير المشروط لإسرائيل، وغض الطرف الدولي عن انتهاكاتها الجسيمة للقانون الدولي، دورًا محوريًا في دفع المقاومة الفلسطينية إلى اتخاذ قرار حاسم بتغيير الواقع القائم مهما بلغت التضحيات، سعيًا لتحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية.

ومهما كانت نتائج الحرب، فقد حققت المقاومة الفلسطينية مكاسب بارزة على المستويين الدولي والإقليمي. فقد كشفت ردود الفعل الدولية والإقليمية، سواء من الدول أو المنظمات، عن انقسام واضح بين مؤيد ومعارض للعملية. ومع تصاعد الأحداث على الأرض وارتكاب إسرائيل جرائم إبادة جماعية وانتهاكات بحق المدنيين والقانون الإنساني، بدأت المواقف الرسمية والشعبية تتغير تدريجيًا، تحت ضغط الرأي العام في معظم دول العالم الذي طالب بوقف الحرب وإدخال المساعدات الإنسانية إلى غزة.

هذا التحول في المزاج الدولي أدى إلى تصاعد التنافس والصراع بين القوى الكبرى، خاصة بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين من جهة، وروسيا والصين وحلفائهما في المنطقة من جهة أخرى. وتشير التقديرات إلى أن القضية الفلسطينية عادت بقوة إلى واجهة الأحداث العالمية، وأصبحت في قلب إدارة الأزمات والصراعات الجيوسياسية التي تشهدها المنطقة حاليًا ومستقبلًا. كما بات هناك إدراك متزايد لدى العديد من الدول بضرورة الإسراع في إيجاد حل للصراع العربي-الإسرائيلي، خاصة القضية الفلسطينية، لتجنب تكرار مثل هذه المآسي، من خلال تسوية شاملة تستند إلى تطبيق القرارات الدولية وإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على حدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، تعيش بأمن وسلام إلى جانب إسرائيل (الجزيرة، 2024) . إضافة إلى ذلك، مثلت العملية فرصة لإحياء القضية الفلسطينية على المستوى الشعبي، وشرح أبعادها للأجيال الجديدة التي تعرضت لحملات دعائية غربية واسعة حول الصراع، خاصة في ظل تطورات الحرب الجارية بين حماس وإسرائيل، مما أعاد الزخم الشعبي والوعي العالمي بعدالة القضية الفلسطينية.

خلال عملية طوفان الأقصى، ركزت الفصائل الفلسطينية على أسر أكبر عدد ممكن من العسكريين والمدنيين الإسرائيليين ونقلهم إلى قطاع غزة، ونجحت بالفعل في احتجاز العشرات منهم. ويكتسب هذا الملف أهمية استراتيجية بالغة، إذ يُعد ورقة ضغط أساسية لتحقيق هدف تحرير الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال الصهيوني، كما أنه وسيلة فعالة للضغط على إسرائيل لتخفيف هجماتها على قطاع غزة (Makovsky, 2025). بالإضافة إلى ذلك، يُتوقع أن يكون ملف الأسرى محورًا مهمًا في أي مفاوضات قد تلي وقف القتال، خاصة فيما يتعلق بإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين.

ورغم إعلان إسرائيل رفضها وقف الحرب على غزة أو السماح بدخول المساعدات الإنسانية، وإصرارها على استمرار العمليات العسكرية حتى تحرير أسراها أولاً، إلا أن تصاعد حدة المعارك، وعدم تمكن الجيش الإسرائيلي من تحرير أي من أسراه خلال العملية، إلى جانب ارتفاع عدد الأسرى الإسرائيليين والضغوط المتزايدة من عائلاتهم ومقتل عدد منهم في الغارات، دفعت إسرائيل إلى تغيير موقفها. وبوساطة من قطر ومصر وبرعاية أمريكية، اضطرت إسرائيل بعد 43 يومًا من الحرب إلى الموافقة على هدنة إنسانية مع حماس لمدة أربعة أيام، بدأت صباح الجمعة 24 نوفمبر 2023، نصت على وقف جميع الأعمال

العسكرية من الطرفين طوال فترة التهدئة، والإفراج عن ثلاثة أسرى فلسطينيين من النساء والأطفال مقابل كل أسير إسرائيلي واحد، بالإضافة إلى إدخال 200 شاحنة مساعدات غذائية وطبية، وأربع شاحنات وقود وغاز طهي يوميًا إلى جميع مناطق قطاع غزة (المنار، 2023). وقد دخلت الهدنة حيز التنفيذ لمدة أربعة أيام، ثم تم تمديدها لثلاثة أيام إضافية بنفس الشروط، حيث تم الإفراج عن 80 أسيرًا إسرائيليًا مقابل 240 أسيرًا فلسطينيًا، بمعدل ثلاثة أسرى فلسطينيين مقابل كل أسير إسرائيلي.

في ديسمبر 2014، نشرت مجلة "إيكونوميست" البريطانية تقريرًا بعنوان "الإسلام السياسي لم يعد هو الحل"، تناولت فيه تراجع تأثير التيارات الإسلاموية في الشرق الأوسط، لا سيما جماعة الإخوان المسلمين. وأشار التقرير إلى أن الإسلام السياسي يواجه ضغوطًا متعددة من قِبل الأنظمة الحاكمة (كالجيوش والملكيات العربية)، ومن الجماعات الجهادية المتطرفة (مثل تنظيم "داعش")، وحتى من الناخبين الذين بدأوا يُظهرون إحباطًا من أداء الحركات الإسلاموية في تحقيق مطالب الشعوب. كما لفت التقرير إلى أن الإسلامويين فشلوا في تقديم نموذج حكم ناجح، سواء في الحكم (كما في حالة حكم الإخوان القصير في مصر 2012–2013) أو في المعارضة، حيث اتسمت برامجهم بالإطار الأيديولوجي الضيق، وعدم القدرة على التعامل مع تحديات الاقتصاد وحقوق الأقليات. في المقابل، برزت قوى جديدة مثل الجهاديين الذين استغلوا الفراغ السياسي والأمني، خاصة في سوريا والعراق، لفرض نموذج أكثر تطرفًا، مما قلل من جاذبية الإسلام السياسي "المعتدل ."

عادت نفس المجلة في ديسمبر 2023 – بعد تسع سنوات من تقريرها السابق – لتطرح سؤالًا آخر: "هل يمكن لهجوم حماس في 7 أكتوبر أن يعكس مسار الثورة ضد هيمنة الإسلام السياسي، عبر إشعال جذوته من جديد؟" (economist, 2024). وأشارت إلى أن المشاعر المناهضة لإسرائيل والغرب قد تعيد تحريك الجماهير، مُحذِّرةً من أن مثل هذا التحول سيكون ضارًا بالمنطقة. وعللت المجلة رأيها بالتحوُّل الذي شهدته الممارسة الدينية للمسلمين قبل الهجوم، حيث انتقلت من "التعبئة السياسية لتحقيق الخلاص المجتمعي" – كما يروج الإسلاميون – إلى "سعي فردي نحو الروحانية"، مما جعل الإسلام يفقد طابعه السياسي تدريجيًا. كما لاحظت زيادة مستوى التسامح الديني بين الدول الإسلامية خلال العقد الماضي، لكنها حذرت من أن الأزمات الاقتصادية وسوء الإدارة والاستبداد قد تشكل أرضًا خصبة لعودة المقاومة.

الخاتمة:

إنه لمن المهم إعادة الاعتبار للمقاومة كفعل مشروع وضروري في مواجهة الاحتلال والاستعمار، وفي استرجاع مفهومها الحقيقي بعد سنوات من الهجمات الإعلامية والثقافية التي سعت إلى تشويهها أو إرهابها. فالمقاومة، في فهم هذه الدراسة، ليست مجرد خيار عسكري أو تكتيك حربي، بل هي استجابة طبيعية للظلم والقهر، وتعبير عن الكرامة الإنسانية والحق المشروع في تقرير المصير. وقد أثبتت عملية طوفان الأقصى أن المقاومة المنظمة، المسلحة بالعقيدة الإسلامية والاستراتيجية السليمة، قادرة على تحدي أقوى جيوش المنطقة وإعادة رسم معادلات الصراع برمتها.

على الصعيد الهوياتي، توصلت الدراسة إلى أنه من المهم التفكير في محاولة جادة لإعادة صياغة الهوية الإسلامية بما يتجاوز الطقسية والشكليات إلى الفعل الحضاري الشامل. فالهوية الإسلامية في الفهم التقليدي اقتصرت على الممارسات الدينية الفردية والعبادات الشخصية، بينما أعادت عملية طوفان الأقصى تعريفها بوصفها "هوية مقاومة" تجمع بين الالتزام العقائدي والفعل السياسي والعسكري والاقتصادي. إنها هوية شاملة تستوعب كل جوانب الحياة الإنسانية، وتربط بين التعبد لله وحماية الأمة والدفاع عن الحرمات. هذا الفهم الجديد للهوية الإسلامية يستحضر التراث الإسلامي الأصيل حيث كان المسلم الأول محارباً ومجاهداً وفي نفس الوقت عابداً ومؤمناً. فالعملية جسّدت هذا الفهم المتكامل وأعادت الحياة إلى قيم الجهاد والكفاح والقتال من أجل الله والعدالة.

من الناحية الحضارية الأوسع، أعادت طوفان الأقصى الثقة إلى الأمة الإسلامية بقدرتها على التغيير والفعل، بعد عقود من الشعور باليأس والاستسلام. فقد أعاد الحدث إحياء القيم الحضارية الإسلامية العظيمة كالعدالة والشجاعة والتضحية والوعي بالمسؤولية الجماعية. كما أعاد صياغة السردية التاريخية للصراع في المنطقة، مما أعطى الشعوب العربية والإسلامية إحساساً متجدداً بأن التاريخ لم ينته بعد، وأن الشعوب الضعيفة يمكنها أن تفرض إرادتها على الواقع الدولي الذي كان يبدو محتوماً.

أما على المستوى السياسي والاستراتيجي، فتحت العملية آفاقاً جديدة للتعاون الإقليمي والحركات الشعبية. فقد أظهرت أن قضية فلسطين والقدس تبقى القضية المركزية التي توحد الأمة الإسلامية على تنوع تياراتها السياسية، وأن التطبيع والسلام البارد لا يمكن أن يكونا ديمومة في الصراع الذي جذوره عميقة وقيمه إنسانية وحضارية. كما أن الانتفاضة الشعبية الواسعة التي تلت العملية في عدد من الدول العربية والإسلامية أثبتت أن قاعدة الشعوب لم تقبل بالاستسلام والتطبيع، وأن الحكومات والنخب الحاكمة التي حاولت القطع مع القضية الفلسطينية تجد نفسها تحت ضغط شعبي هائل.

5. قائمة المراجع:

1. ابن عاشور محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: الدار التونسية للنشر.
2. اسماعيل بن عمر ابن كثير. (1999). *تفسير القرآن العظيم*. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
3. بلال عوض سلامة. (2024). طوفان المقاومة: متلازمة البأس الاستعماري وثقافة الأمل الفلسطيني. *مجلة الدراسات الفلسطينية*، 300.
4. حسن حنفي. (2006). "ثقافة المقاومة". *مجلة المستقبل العربي*، 89.
5. حسن حنفي. (2006). ثقافة المقاومة. *مجلة المستقبل العربي*، 104.
6. سيد قطب. (1992). *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق.
7. سيف الدين عبد الفتاح. (20 04, 2025). *الفرص الحضارية في طوفان الأقصى.. قاموس المقاومة (56)* . تم الاسترداد من عربي 21: https://2u.pw/UFBnD
8. طارق البشيري. (1999). عن القدس وفلسطين (وعاؤها الجغرافي). تأليف نادية مصطفى، و عبد الفتاح سيف الدين، *أمتي في العالم: الأمة والعولمة*. القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية.
9. فريد عبد الفتاح أبو ضهير. (2024). الأساليب الإقناعية وتقنيات الدعاية في خطابات الناطق الرسمي لكتائب القسام في حركة حماس (أبو عبيدة) خلال معركة طوفان الأقصى. *مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية*.
10. كهوس رشيد. (2015). *السنن الإلهية من الوعي إلى التأسيس العملي*. دبي: مركز جمعة الماجد.

للدراسات مركز الجزيرة. (01 03, 2024). *"طوفان الأقصى" والحرب على غزة تداعيات متعددة الأبعاد*. تم الاسترداد من التقرير الاستراتيجي 2023-2024: https://2u.pw/REf0H
11. محسن محمد صالح. (2023). *المقاومة الإسلامية على أرض فلسطين 1949-2022*. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
12. محمد الضيف. (08 10, 2023). *خطاب طوفان الأقصى (7 أكتوبر 2023)*. تم الاسترداد من مجلة الدراسات الفلسطينية: https://2u.pw/BoZarsGQ
13. محمد بن جرير الطبري. (2001). *جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)*. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
14. محمد مهدي اسماعيلي. (24 04, 2025). *الثقافة الدينية لـ "طوفان الأقصى"* . تم الاسترداد من جريدة الوفاق: https://2u.pw/Rt3vP
15. مدحت ماهر الليثي. (2023). معادلة القوة والمصلحة والأخلاق والقانون في السياسة العالمية: التنظير والتطبيق من منظورات مقارنة. القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية: أطروحة دكتوراه جامعة القاهرة.
16. مصطفى محمود منجود. (1996). *الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام*. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
17. موقع المنار. (23 11, 2023). *"هدنة غزة" تبدأ اليوم الجمعة عند السابعة صباحاً.. هذه تفاصيلها*. تم الاسترداد من https://www.almanar.com.lb/11285760
18. وصفي عاشور أبو زيد. (2022). مقاصد الشريعة مدخلًا في جمع الكلمة لتحرير فلسطي. *مجلة المرقاة للدراسات والبحوث الإسلامية*، 109-111.
19. ياسمين كامل منصور عمر. (12 04, 2025). *طوفان الأقصى والحق في المقاومة تحليل خطاب المقاومة الفلسطينية من منظور حضاري*. تم الاسترداد من مركز الحضارة للدراسات والبحوث: https://2u.pw/2GVQK

1. Achcar, G. (2004). *The Boiling Middle East.* İstanbul: Ithaki.
2. AFP. (2025, 04 28). *Israel leads global surge in military spending, with steepest increase since 1967*. Retrieved from times of Israel: https://2u.pw/TVWRI
3. AlJazeera. (2023, 12 04). *"Israeli Defence Minister Orders 'Complete Siege' on Gaza"*. Retrieved from https://2u.pw/ikDXL
4. Banikalef, A. A., & Nisreen N. , A.-K. (2025). Analyzing accusation patterns between Hamas and Israel during the Al-Aqsa flood operation. *Humanities and Social Sciences Communications*.
5. economist, T. (2024, 08 01). *''Will Hamas turn from war to politics? The assassination of its political leader poses a string of dilemmas''*. Retrieved from https://2u.pw/35Jvd
6. Grant, E. (2025, 05 27). *The Fiscal Crossroads: How Israel's Defense Spending Spree Risks Sovereign Debt Collapse*. Retrieved from https://2u.pw/ZYHNu
7. Harding, E. (2023, 11 11). *How Could Israeli Intelligence Miss the Hamas Invasion Plans?* Retrieved from Center for Strategic and International Studies: https://2u.pw/42IgH
8. Makovsky, D. (2025, 03 11). *Short-Lived U.S.-Hamas Talks Are a Cautionary Tale for Washington and Jerusalem*. Retrieved from PolicyWatch 4013: https://2u.pw/PK5fYW0G
9. Mercan, M. H. (2018). The Political Strategy of Hamas in the Context of Continuity and Change,. *Middle Eastern Studies*, 62-78.
10. Mercan, M. H. (2023, 12 30). *Operation al-Aqsa Flood: A Rupture in the History of the Palestinian Resistance and Its Implications*. Retrieved from Insight Turkey Fall 2023: https://2u.pw/CnT4y
11. Shihadeh, M. (2025, 01 27). *The Estimated Cost of the Gaza War on the Israeli Economy*. Retrieved from Arab Center Washington DC: https://2u.pw/8PAQI
12. Sulaiman, A., Abdul Muntaqim, A., & Nur , H. (2024). The Meaning Of Jihad In Abu Obaida's Oration On The Palestinian Conflict. *Al-Muyassar: Journal of Arabic Education*, 198–211.